جمهورية مصر العربية وزارة الأوقاف	٣٠ ربيع الأول ١٤٤٣هـ ٥ نوفمبر ٢٠٢١م

(١)

مفهوم العبادة

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم : {إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ}، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بِإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

وبعد :

فإنَّ للعبادة مكانة جليلة، ومنزلة عالية، فهي الغاية الكبرى التي من أجلها خلق الله (عز وجل) الخلق، حيث يقول الحق سبحانه: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}، ويقول سبحانه: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ}، وهي وظيفة الإنسان في حياته كلها، يقول الحسن البصري (رحمه الله): إنَّ الله لمْ يجعلْ لعملِ المؤمنِ أجلاً دونَ الموتِ.

والمتأمل في الشريعة الإسلامية يجد أن مفهوم العبادة له معنيان: الأول: عام واسع، يشمل أبواب الخير كلها ، من العبادة إلى طلَبِ الرِّزقِ، وحُسن الخُلُق، والصِّدقِ في الحديثِ، والصفح الجميل ، والإصلاح بين الناس، والإنفاق على الأهل، إلى غير ذلك مِن أفعال البر، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدقةٌ كلَّ يومٍ تطلُعُ فيه الشَّمسُ، يعدِلُ بين الاثنَين صدقةٌ، ويُعينُ الرجُلَ على دابَّته فيحمِلُ عليها، أو يرفعُ عليها متاعَه صدقةٌ، والكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ، وكلُّ خُطوةٍ يخطُوها إلَى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، ويُميطُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ).

كما أن عمارة الأرض من خلال الزراعة، والصناعة، وإتقان العمل، بما يعود نفعه على المجتمع كله، ويكون سببًا في رقي الوطن وتقدمه، من العبادات التي يحبها الله (عز وجل)، وهي مطلوب الله (عز وجل) من الإنسان، حيث يقول تعالى: { هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا }، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (أَحَبُّ النَّاسِ إلى اللهِ أنفعُهم للناسِ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ (عزَّ وجلَّ) سرورٌ تُدخِلُه على مسلمٍ، تكشِفُ عنه كُربةً، أو تقضِي عنه دَيْنًا، أو تَطرُدُ عنه جوعًا، ولأَنْ أمشيَ مع أخٍ في حاجةٍ؛ أَحَبُّ إليَّ مِنْ أنْ أعْتَكِفَ فِي هَذَا المَسْجِدِ- يَعْنِي: مَسْجِدَ المَدِينَةِ- شَهْرًا، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَه أَمْضَاهُ؛ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ رِضًا، وَمَن مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَقضِيَها لَهُ؛ ثَبَّتَ اللهُ قَدمَيْهِ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامُ).

والثاني: خاص يطلق على العبادة بمفهومها الخاص، فيشمل إقامة شعائر الإسلام، وأداء أركانه من الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، حيث يقول تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}، ويقول سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، ويقول (عز وجل): {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ}، ويقول سبحانه: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}.

****

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نؤكد أن الشخصية السوية هي التي توازن بين أداء فرائض الله (عز وجل) من صلاة وصيام وزكاة وحج فريضة لمن استطاع إلى ذلك سبيلًا، وبين عمارة الكون والتحلّي بمكارم الأخلاق.

كما نؤكد أن العبادات بمعناها الخاص لا تؤتي ثمرتها إلا إذا أثّرت في أخلاق الإنسان وسلوكه، حيث يقول الله (عز وجل): {إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ} ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ شَاتَمَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ)، فمن زاد عليك في الخُلُق زاد عليك في فهم صحيح الدين.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك